خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

٣ من ربيع الآخر ١٤٣٦ هـ / ٢٣ من كانون الثاني ٢٠١٥ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة، ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين.

عباد الله ، أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في محكم التنزيل: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

معاشر الإخوة: الخلاف طبيعة البشر، وبين الناس وآرائهم مسافات تتقارب وتتباعد، وقلما يقع الوفاق التام بين الأفراد والجماعات، ولسنا نَتشاءم عندما نَرى رأياً يُخالف رأياً أو حكماً يُغاير حكماً، إنما نتشاءم عندما نستبين بواعث الخلاف ونرى فيها ما يسوء.

إن تقوى الله عز وجل تميت كثيراً من أسباب الشقاء، وتجعل المرء إن كان مخطئاً يتراجع عن خطئه، وإن كان مصيباً لا يتكبر على خصمه، فالحوار المثمر في نظر الإسلام هو الذي يقوم على النقد البناء، ويُقاوم الحجة بالحجة لا بالعصا أو السيف، نقد الخطأ واجب، وإسداء النصح للمخطئين واجب، وعلى المجتمع كله أن ينهض بهذا الواجب لا لشيء إلا لأن الحق ينبغي أن يحيا ويبقى، وأن الصواب يَنبغي أن يظهر ويشتهر.

وإذا أمعنا النظر واستقرينا الأحداث نجد أن الباطل لا يسير في الأرض بقواه الذاتية، وإنما تُسيره عوامل الرغبة والرهبة، وتسانده الرشوة، وعندما تتخلى عنه يتهاوى من تلقاء نفسه، عندما يكون الحوار بناءً وهادفاً وناجحاً فإنه يسد الطريق على بعض المنحرفين من أن يستمكنوا من أذان العامة ويصبوا فيها ألوان الإغراء ومنازع الشر، فهذا هدم لا بناء، وخطره على المجتمع شديد، إذ هو سيزلزل القيم الذي سيتحرك بها، ويضعف الأواصر التي تشد بعضه إلى بعض.

وإنك لو نظرت إلى الأئمة الأوائل لرأيت نماذج بالخصومة العلمية الشريفة، فلا إعجاب بالرأي، ولا تتبع للسقطات، وإنما تقرير لوجهة النظر يخدم الحق بالدليل، مع نُشبان لوجه الله ونفع للأمة، المصيبة تكمن في الاختلاف على المغنام والتهارش على إحراز ما يُستطاع من هذه العاجلة والتوصل إلى الدنيا بالدين.

يا سادة: إن تَشعب الآراء لا يُثير القلق ما دامت النيات صادقة، وما دامت الوجهة هي الله والمصلحة العامة، ولكن الذي يُثير القلق عندما ترى بعض الزائغين يَقلبون الحقائق، عندما ترى بعض الزائغين في ثوب الدعوة إلى الإصلاح، يَقلبون الحقائق ويَدسون السم في الدسم، هؤلاء وصفهم الشاعر بقوله:

وإخـــــوان حَسِـــــبتهم دروعـــــاً فكانوهـــــا ولكـــــن للأعـــــادي

وخلـــــتهم ســـــهاماً صـــــائبات فكانوهـــــا ولكـــــن في فـــــؤادي

وقـــالوا قـــد صـــفت منـــا قلـــوب نعـــم صـــدقوا ولكـــن للـــودادي

فالجدال بالتي هي أحسن له شروط وقواعد وأصول، يجب اتباعها صيانة للجدال بالحق عن أن يتحول إلى مماراة بعيدة عن رصدان الحقيقة، أو إلى مُشاحنات أنانية ومشاتمات ومغالطات ونحو ذلك، مما يُفسد القلوب ويُهيج النفوس ويُورث التعصب ولا يُوصل إلى حق، فالإسلام يدعو إلى الجدال البريء عن التعصب، الخالي من العنف والانفعال، المتمشي وفق الأصول العامة للحوار، الذي يَستهدف فيه من الفريقين المتحاورين الوصول إلى الحقيقة، وللحوار قواعد عظيمة يَنبغي اتباعها، منها:

تخلي كل من الفريقين المتحاورين عن التعصب لوجهة نظره السابقة، وإعلانهما الاستعداد التام للبحث عن الحقيقة والأخذ بها عند ظهورهما، وقد أرشدنا القرآن الكريم في سورة سبأ إلى الأخذ بهذا التوجيه، حيث علم الرسول ﷺ أن يقول للمشركين في مناظرته: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] وفي هذا غاية التخلي عن التعصب لأمر سابق، وكمال الرغبة بنشدان الحقيقة أنى كانت.

وهذه صحف التاريخ حافلة بقصص الذين كانوا يقفون للخليفة عمر بن الخطاب وهو يخطب على المنبر، فينكرون عليه عزل عامل اعتقدوا أمانته، أو يُجادلونه في رأي عَزَمَ أن يَجعله قانوناً نافذاً، فلا يكون منه إلا أن يقول لمن نطق على بينة: أصبت، ويَرد على مَن أخطأ بالمناقشة رداً جميلاً.

ومن أخلاقيات وآداب الحوار: تَقيد كل من الفريقين المتحاورين بالقول المهذب، البعيد عن كل طعن أو تجريح أو هزء أو سخرية، أو احتقار لوجهة النظر التي يدعيها أو يدافع عنها من يحاوره، حيث أرشد

القرآن المتحاورين إلى ذلك بقوله سبحانه: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي فإن سلك مجادلوكم مسلكاً غير مهذبة القول فتقيدوا أنتم بكل قول مهذب، واسلكوا كل طريقة هي أحسن وأفضل، وفي الحديث الشريف الذي رواه الترمذي، أن النبي ﷺ قال: ((ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء)).

ومن أخلاقيات وآداب الحوار: التزام الطرق المنطقية السليمة لدى المناظرة والحوار، ومن هذه الطرق تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للأمور المدعاة، وإثبات صحة النقل للأمور المنقولة المروية، ويؤكد ذلك الحقيقة العلمية أو القاعدة الأصولية العلمية التي تقول: إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدعياً فالدليل. وقد أرشد القرآن الكريم إلى العمل بمضمون هذه القاعدة في نصوص كثيرة منها قوله سبحانه: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣] وذلك أن اليهود أخذوا يَعترضون على رسول الله ﷺ في أكله لحوم الإبل وشربه ألبانها مع إعلانه أنه على دين إبراهيم عليه السلام، مُدعين بأنها كانت محرمة في ملة إبراهيم، فقال لهم الرسول ﷺ: كان ذلك حلالاً لإبراهيم فنحن نحله. فقال اليهود: إنها لم تزل مُحرمة في ملة إبراهيم ونوح، فنزل القرآن الكريم يطالب رسوله ﷺ بأن يَطلب مِن هؤلاء المشركين تقديم الدليل على ما يَدَّعُون، فنزل قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

يا سادة: نحن بحاجة إلى إنشاء جهاز عالمي لدعم الأخلاق والتسامي بالبشر، ومما لا يُنكر أن الفطرة الإنسانية موهبة تَعترض الجمال وتَسعى إليه، وتقاوم الشعار المادي الذي يرفض أن العالم تقاربت أقطاره واختصرت أبعاده، أي أن أبناء آدم تستطيع التقارب والتحاور ودراسة ما يحور أو ما يثور من مشكلات والتعاون على حلها، لكنها ستعجز عن بلوغ أهدافها إلا في ظل الاكتمال الخلقي وكبث آثر الأثرة والكبرياء، فهل نفكر في توفير الوسائل المنشودة لتحقيق ما نصبو إليه، ونحن بحاجة أيضاً العرب كله نعم بحاجة أيضاً إلى تأليف هيئة أخلاقية تساند هيئة الأمم وتسدد خطاها وتحصنها من المحاباة والهوى، ونحن بحاجة أيضاً إلى تعزيز ثقافة الحوار الديني والوطني معاً، وإلى ذلك أشار القائد المؤمن بشار الأسد حفظه الله ورعاه عندما التقى بالسيدات الداعيات في الواحد والعشرين من الشهر الجاري، حيث قال سيادته : كل واحدة منكن لها دور كأي شيخ يقوم بدوره، ولكن أنتن عملكن ربما يكون أعظم ممن دور الشيخ يقف على المنبر ويُلقي خطابه لأنه لا يحاور الناس أبداً، أما أنتم فتحاورون الناس من خلال الدروس،

ففي الدروس التي تقومون بها يقوم فيها الحوار والأخذ والرد ،ولذلك فيها تأثير ودخول في العمق، رغم دروس رجال الدين، ولكن جوهر علمكنّ يكون بالحوار المباشر، الحوار هو الذي يوصلنا إلى العقل، إلى أن قال سيادته: (فإذا لم يكن الدين دين حوار لم نصل إلى مواجهة التطرف).

وها هي دمشق –يا سادة– تسير في الأيام القليلة القادمة إلى موسكو، وهي تحمل في جعبتها الكثير الكثير من الحجج والبراهين للعالم بأسره، أن القائد بشار الأسد هو أول من صان الدماء في الجمهورية العربية السورية، وأن الذي أجرم بهذا الشعب العريق العظيم الأبي هم آل سعود وأردوغان وقطر، وكل من دار في فلكهم من الغرب العملاء، هذه الرسالة الأولى.

ثانياً: دمشق ستذهب إلى الحوار لتقول للعالم بأسره: جئنا لنحاور من أجل حقن الدماء، من أجل الدفاع عن تاريخ وحضارة وأجيال، جئنا إلى الحوار كما دعونا إليه في بداية الحرب الشرسة التي شنت على هذا الوطن الحبيب، منذ البداية دعا السيد الرئيس، دعت الحكومة الموقرة بالجمهورية العربية السورية إلى الحوار، لكن خدام بين صهيون وأدوات بين صهيون كانوا لا يريدون حواراً، كان يريدون قتلاً ودماراً، نعم كانوا يريدون قتلاً ودماراً، ألا ترى أيها السوري، ألا ترى أيها العربي، كيف استنفرت فرنسا من عمل إرهابي بسيط، وأنزلت على أثره الدبابات في شوارعها، أما بلدكم، أما حكومتكم، أما قائدكم، لم ينزل الدبابات في بداية الأمر، ولم يُطلق رصاصة على إرهابي مُجرم، إنما قال للكل: تعالوا إلى الحوار، تعالوا لنحقن دماء بعضنا البعض، تعالوا لنصون سوريا، تعالوا لنصون هذا الوطن الحبيب، لا تقتلوا أنفسكم، لا تدمروا أوطانكم، لا تعبثوا بأمنكم واستقراركم، لكن الآذان كانت صماء، لأن بني صهيون الذين صنعوا هذه المؤامرة الخطيرة في سوريا كانوا يَقولون لهم بالتعامل مع آل سعود: إياكم أن تُصغوا للغة الحوار، وها هم الذين ركبوا رؤوسهم بعد مرور أربعة أعوام، يقولون: نعم أخطأنا، نعم لا بد من المصالحة الوطنية، نعم لا بد من الحوار، نحن نرحب بذلك، وإن كان قد خسرنا الكثير من الشهداء، وإن كانت قد دمر الكثير من هذا الوطن الحبيب، فالعودة خير من اللا عودة، والرجوع خير من اللا رجوع، فنحن سنفهم ونحاور في موسكو، لنبين للعالم بأسره أنه من سلك طريق الحوار وأراد الحوار وشجع على الحوار واحب الحوار هو الذي يَغار على دم وطنه ودم أبناء وطنه، أما الذين رفضوا الحوار فالأقنعة كُشفت عن وجوههم المزيفة، وتبين للعالم بأسره أن الذي يُوجههم ويُرشدهم ويُمولهم هم بنو صهيون.

أيها الإخوة المؤمنون: الحوار له أخلاقيات، له آداب، له فضائل، له مبادئ، ونحن كسوريين نمد يدنا إلى كل من أراد الحوار، ليقول: نعم لحقن الدماء، نعم لعودة الأمن والاستقرار، نعم لخفض الأسعار، نعم لصيانة العرض والشرف والمكرمات، نعم لإعادة الأمن والأمان، نعم لطرد داعش والنصرة والقاعدة من أرض سوريا، نحن نمد أيدينا لمن يقول ذلك، أما الذي يركب رأسه من أجل أن يُقيم دولة إسرائيل على حساب جماجم السوريين والعرب، نحن نقول له: لا، الجيش العربي السوري يمد يده إليك بالقمع والإبادة، من حقنا –يا سادة– من حق القيادة، من حق الحكومة، من حقنا كشعب أن ندافع وأن نقاوم كل إرهابي أردني عراقي فلسطيني تركي ألماني فرنسيين وما شابه ذلك، أن نحاربه، وأن نقاومه، وأن نقول له: ارحل أيها القرد من هنا، ارحل أيها الصعلوك من هنا، ارحل أيها الخنزير من هنا، فأنت لا تَعرف الإسلام، وأنت أول أعداء الإسلام، وأنت لا تعرف رسول الله، وأنت أول أعداء الأنبياء، لأنك من خدام بين صهيون، ومن خدام الفرنسيين والأمريكيين والبريطانيين.

أهلاً وسهلاً بالحوار الذي يجمع ولا يفرق، أهلاً وسهلاً بالحوار الذي يحفظ لنا السيادة الوطنية، أهلاً وسهلاً بالحوار الذي يشعر بآلام الشعب السوري، أهلاً وسهلاً بالحوار الذي يعرف قيمة هذا الوطن الحبيب، أهلاً وسهلاً بالحوار الذي يقول: لا لسفك الدم السوري، لا لسفك الدم العربي، وما أحوج العالم اليوم إلى الحوار، ليعود إليه الأمن والاستقرار، فإذا كنت أنت بخير كان جارك بخير، وإذا كان جارك بخير فأنت بخير، وها هم الساسة الأوربيون يَرجعون إلى كلمة السيد الرئيس بشار الأسد، عندما قال: إذا لم تكفوا عن تمويل ودعم الإرهاب في سوريا فإن هذا الزلزال سيرتد عليكم، وسرعان ما ارتد الزلزال إلى فرنسا وبلجيكا، وغيرها من بلدان أوربا. إذا كنت بخير فجارك بخير، فنحن كشعب وحكومة نحافظ على سلامة الشعوب في العالم، لا سيما الشعوب المجاورة لهذا الوطن الحبيب، فنحن سوريون مسالمون، نعشق السلام، نعشق الحرية، نعشق الأمن والأمان، نعشق احترام بعضنا البعض، وكل مَن يسير على غير هذا الطريق فهو ليس بسوري وليس عربي، إن في هذا لذكرى لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

الخطبة الثانيـة٢ـة:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

أيها الإخوة: تحت إشراف وزارة الأوقاف الموقرة، سيتم بعد صلاة الجمعة –الآن مباشرة إن شاء الله تعالى وبتوفيقه– إقامة حفل بمناسبة مولد النبي ﷺ، وختماً للصلاة المليارية التي صليتموها على حبيبكم مُحَمَّد وشفيعكم صلوات الله وسلامه عليه، دمشق معروفة بحبها لرسول الله وبتعظيمها له، سورية معروفة بتقديسها لرسول الله وحبها له، هذه ميزة اصطفى الله بها هذه البلاد، فشاركوا فإن هذه المشاركة فيها فرج بإذن الله قريب إن شاء الله على الأمة العربية والإسلامية، لا سيما على وطننا الحبيب.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأعطنا ولا تحرمنا، اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأعطنا ولا تحرمنا، اللهم اسقنا غَيثاً مُغيثاً هَنيئاً مَريئاً مَريعاً سَحَّاً طَبقاً غَدقاً مُجللاً إلى يوم الدين، اللهم إنا نسألك في هذه الأيام المباركة أن تُعيد الأمن والأمان إلى ربوع وطننا الحبيب، اللهم إنا نسألك أن تنصر الجيش العربي السوري، وأن تُثبت الأرض تحت أقدامهم، وأن تَكون لهم مُعيناً وناصراً، وأن تُسدد أهدافهم ورميهم يا رب العالمين، اللهم وفق السيد الرئيس بشار الأسد إلى ما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده إلى ما تحبه وترضاه، واجعله بشارة خير للأمة العربية والإسلامية، سُبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

مديرية أوقاف دمشق